

## من أخلاق العترة (التسامح)

التي تلت سيماء هؤلاء المتقين، وهم الحائزون خمس صفات أولها الإنفاق في السراء والضراء، ثم ذكرت ثلاث صفات أخرى هي:

١. **والكاظمين الغيظ:** أي الذين لديهم القدرة على السيطرة على غضبهم مع كونهم ممتلئين بأسباب الغيظ والغضب. إذ إن الكظم هو شدُّ رأس القربة عند ملئها لئلا يتفלט منها ماؤها.

٢. **والعافين عن الناس:** أي أنهم يتحلَّون بالقدرة على الصفح عمن ظلمهم، ويتجاوزون عن الإساءة عن من يستحق العفو والصفح.

٣. **والله يحب المحسنين:** أي أنهم محسنون؛ لا يكتفون بكظم غيظهم، والصفح والعفو عن المسيئ، بل يقابلون الإساءة بالإحسان، فيحسنون إلى من ظلمهم.

### مراحل الرقي الأخلاقي للتسامح:

بوقفة فيها مزيد تأمل في هذه الآيات يمكن استنتاج التالي:

إن الآيات كأنها تأتي لبيان سير تكاملي لخلق التسامح عند المتقين. بالتدريج التالي:

**أولاً:** إن كظم الغيظ هو إمساك الإنسان نفسه من خلال جهادها ومغالبتها لئلا يخرج منها ما يؤدي النفس والغير. عندما تكون ممتلئة بما أوقدت تحته نار الغضب. فهو حالة فيها جهاد للنفس مع وجود أسباب ومبررات الغضب، فهو حالة من كبح الغضب بسد منافذه وإحكامها.

عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup>.

وقال كذلك: **«وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»**<sup>(٢)</sup> ولأن العفو والصفح من مصاديق التسامح فقد جاء في مدح هذه الخلَّة الإنسانية عن الإمام علي عليه السلام قوله: **«العفو تاج المكارم»**<sup>(٣)</sup>.

### التسامح في القرآن الكريم:

قال تعالى: **«وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»** الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٤)</sup>.

هاتان الآيتان جاءتا بعد أن هددت الآيات السابقة، العصاة وتوعدتهم بالعذاب والجحيم، وبشرت الأبرار المطيعين بالرحمة الإلهية، وشوقتهم إليها، جاءت مبتدئة لتحث على المسارعة، أي المسابقة للوصول إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فالآيات تحث على المنافسة في ما يوصل إليها وهو تحصيل المغفرة من الله ثم الجنة. فكان التصوير يأتي ليرسم مباراة يتنافس فيها المتنافسون لنيل الجوائز الموصوفة آنفاً، وهي المغفرة والجنة الواسعة سعة السماوات والأرض. والذين يفوزون بهذا السباق وهذه المباراة هم المتقون. ثم بينت الآيات

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٣) ميزان الحكمة الريشهري، ج ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ - ١٣٤.

### محاور الموضوع الرئيسية:

١. معنى التسامح.
٢. التسامح في القرآن الكريم.
٣. مراحل الرقي الأخلاقي للتسامح.
٤. من آثار التسامح.
٥. التسامح في سيرة أهل البيت عليهم السلام.

### الهدف:

بيان فضيلة التسامح وآثاره مع الإضاءة على بعض ما ورد منها في سلوك أهل البيت عليهم السلام.

### تصدير الموضوع:

**«وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»**<sup>(١)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

### مقدمة: معنى التسامح:

إنَّ التسامح من الأخلاق التي ندب إليها الإسلام، وقد جاء مدحها كثيراً في النصوص، وأكدت حسناتها الكثير من مواقف النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من آلِه ومن أبرز تلك المواقف موقفه صلى الله عليه وآله مع أهل مكة يوم الفتح حيث قال لهم: **«إذهبوا فانتم الطلقاء»**.

فالتسامح سجية وخلق تدفع الإنسان للتجاوز عن إساءات الآخرين. والصفح عن أخطائهم. والإغضاء عنها، وعدم مقابلة الإساءة بمثلها، بل باللين والعفو والتساهل وعدم التشدد والعنف.

فالتسامح هو شعور إيجابي، يفيض رحمة وعطفاً وحناناً...

ومما جاء في مدح هذا الخلق قرآنيًا قوله تعالى: **«وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ**



## إليه يصعد الكلم الطيب

قوله: «إنا أهل بيت مروتنا العفو عمن ظلمنا»<sup>(٩)</sup>.

وهذه رواية جامعة لبيان مقام خلق العفو والتسامح عند أهل البيت وللمتابع لسيرتهم عليهم السلام أن يجد ما هو أكثر من ذلك، لا سيما ما ورد حول قصة الإمام السجاد عليه السلام مع تلك الجارية التي شجّت رأسه، فقابل ذلك بالتردد معها وهي تتدرج بذكر الآيات فمنحها كظم الغيظ ثم عفا عنها ثم أحسن إليها بإعتاقها.

ومن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في التسامح والعفو نجد المصاديق التالية:

١ - حين تمّ القبض على عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعد بن العاص عفا عنهم وأحسن إليهم.

٢ - مرّ الإمام علي عليه السلام بعد معركة الجمل بنساء يبكين بفناء دار فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن: «هذا قاتل الأحبة» فقال عليه السلام: «لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة، ومن في هذه وأوماً بيده إلى ثلاث حجرات. تقول صفية فذهبت إليهن فما بقيت في الدار صائحة إلا سكنت، ولا قائمة إلا قعدت، وكان في إحدى الحجرات عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الثالثة عبد الله بن الزبير وأهله...

٣ - روي أنه بعد أن ضرب ابن ملجم اللعين الإمام علياً عليه السلام وكان طريق الفراش جيء إليه بقع من لبن (حليب) فشرّب منه قليلاً ثم نحا عن فيه وقال: «إحمله إلى أسيركم» (أي ابن ملجم).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إليه مستقبلاً، ولكنه أيضاً يتجاوز همّ نفسه إلى حمل مسؤولية علاج الآخرين واستنقاذهم من أمراضهم النفسية والقلبية والسلوكية.

وهذا إلفات إلى صفة من صفات المتقين، وهي الوعي الأخلاقي والاجتماعي<sup>(٧)</sup>.

### من آثار التسامح

لقد جاء في كلام أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم الكثير مما يحثّ على العفو والتسامح. فمنها بيان آثار العفو في الدنيا والآخرة نذكر منها:

١ - طول العمر: فعنه عليه السلام: «من كثر عفو مدّ في عمره»<sup>(٢)</sup>.

٢ - العزة: عنه عليه السلام: «العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله»<sup>(٤)</sup>.

٣ - الوقاية من سوء الأقدار: عنه عليه السلام: «تجاوزوا عن عشرات الخاطئين يقيمكم الله بذلك سوء الأقدار»<sup>(٥)</sup>.

٤ - بقاء الملك: عنه عليه السلام: «عفو الملوك بقاء الملك»<sup>(٦)</sup>.

٥ - النصر: عن الإمام الرضا عليه السلام: «ما التقت فتتان قط إلا نصر أعظمهما عفو»<sup>(٧)</sup>.

٦ - النجاة من النار: عنه عليه السلام: «تجاوزوا عن ذنوب الناس يدفع الله عنكم بذلك عذاب النار»<sup>(٨)</sup>.

### التسامح في سيرة أهل البيت عليهم السلام:

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام

(٢) راجع تفسير الأمثل للشيرازي، ج ٢، ص ٦٩٨-٦٩٩.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

ثانياً: إن كان كظم الغيظ أمرٌ حسن وحسنٌ جداً، إلا أنه يبقى ناقصاً ويفترض أن يكون مرحلة لما بعده، فهو لا يقتل جذور العدا من قلب من يكظم غيظه، بل قد يؤدي إلى مراكمة أسبابه بإضافة تجرع مرارته، والخطوة الأخرى المفترضة بعد كظم الغيظ لا بد أن يكون «العفو والصفح» لتنظيف القلب من الغيظ أولاً، والحدق ثانياً، والعداوة ثالثاً؛ فالعفو والتسامح هو قمع لروح الإنتقام والتشفي.

ثالثاً: للوصول إلى أعلى درجة من الرقي والنبيل الأخلاقي، وأعلى درجات سلم التكامل المعنوي لا بد من تجاوز مرحلتَي كظم الغيظ، والعفو والصفح إلى خلق له خاصية القضاء على جذور العدا في فؤاد وقلب من أساء إليه، وهي مرحلة مقابلة الإساءة بالإحسان.

استجلاباً لقلبه واستبدالاً للعداوة والبغضاء بالمحبة والإلفة والصدقة ألم يقل تعالى: «اذْفَعْ بَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»<sup>(١)</sup>.

فالإحسان عملية تطهير لقلب الخصم بعد إعطائه الأمان بالعفو من أدران العداوة وكل ما ينميها ويكون مشكلاً لدوافع الأذية والإساءة. وبالتالي فالإحسان هو عملية علاج للقلوب وفتحها على عالم من الصحة والصلاح.

رابعاً: كاظم الغيظ يعالج نفسه وبالعفو والصفح أيضاً يعالج نفسه مع الإلتفات إلى الآخر، بإشعاره بالأمن وبالتالي فإن همته الإصلاحية تدور حول نفسه، وأما من يحسن إلى المسيئ ويكسب وده وحبه فمن جهة يمنع تكرار الإساءة

